[50] بقوانينه [1]. والارجح أن هذا هو معنى التقشف الذي ينسب إليه. وإذا كانت الامارات، والترف، والحضارة، والثراء، لا تنفك في الاغلب عن اقتراف الجرائم، وغمط الحقوق، والتلاعب بالقوانين المدنية، وهتك نواميس الشرع الاقدس - فان الشريف لم يؤثر عنه إلا العفة المطلقة والفتوة والمماشاة بوفاق مع المروءة واحترام النواميس كافة، حتى في مجالسه الخاصة، ونحن لتلك العزة وتلك الانفة والمروءة نذعن لآخر نظرة أنه لم يقترف مأثما، وأن تلك الصفات والملكات تكفه وتردعه بسهولة وبلا مقاسرة، عن المظالم التي تبتعد بالمروءة إلى المطرح السحيق. وفوق ذلك انا نعتقد عندما ننظر في شعره إلى امثال قوله:

شغلت بالمجد عما يستلذ به * وقائم الليل لا يلوي على السمر أنه مع تمكنه من لذائذ الحياة بأكمل وجه قد اصبح محروما عن اكثرها، إيثارا للمروءة وصونا لكرامة العرض، ونزداد يقينا في هذا إذا لاحظنا أنه لم يستعمل المواربة في شعره، ولم يجالس الخلعاء والظرفاء الذين يستخفون بالنواميس في أيام شبيبته، وأنه لذلك لم يصرف شيئا من شعره في فنون المهازل والمجون، فان هذا يدلنا على انه لم يعمل ما يعتذر عنه ولا يصانع احدا سترا على نفسه، ولذا نجده وهو بمرصد من اعدائه لا يحفل أن يجاهر بمثل قوله: عف السرائر لم تلط لريبة * يوما علي مغالقي وسجوفي

---

(1) ابن ابي الحديد في شرح النهج وغيره. (*